كيفية تطوير يسوع للقادة

رائنا الجوانب التي يجب التركيز عليها في تطوير القادة. ورأينا بولس يذكر في رسالته إلى تيموثاوس المجالات الأربعة: الدعوة والتعليم والشخصية والمهارات. كما رأينا بشكل موجز أن يسوع قد ركز على هذه المجالات مع تلاميذه. هذه هي الأمور التي نُركّز عليها في تطوير القيادة. وسننتقل الآن إلى كيفية تطوير هذه المجالات. وللقيام بذلك، سننظر إلى مثال المسيح ثم إلى بعض الأمثلة في الكنيسة على طول تاريخها.

عملية تطوير القادة

قام المسيح بتطوير القادة من خلال عملية التلمذة، وقام بولس بتلمذة عدد من القادة حين كان يسافر ويعظ ويزرع الكنائس. وفي نهاية الأصحاح الرابع من رسالة تيموثاوس الأولى، يقول بولس إن القائد الراعي الذي يرُكّز على تطوير عقيدته وشخصيته ومهاراته يجعل الآخرين أكثرَ شبهاً بيسوع (لنوال الخلاص). لكن بولس يقول أيضاً، إنه عندما يركز القائد على هذه الجوانب، فإن مخدوميه أيضاً يصبحون أكثر مُشابهة للمسيح. هذا الأمر مهم لأن القائد يمكنه قيادة الآخرين إلى المستوى الذي وصل إليه وحسب، وقبل أن يقوم أي قائد بتلمذة شخص آخر، عليه أن يكون قد تتلمذ أولاً. من دون التلمذة تُعتبر الخدمة والقيادة أمرين مستحيلين، فالخدمة نتيجة طبيعية للتلمذة. والتلمذة والنمو يجب أن يكونا أمرين مستمرّين ودائمين في حياة القائد.

ولأجل مساعدة القائد الراعي على التطوّر في هذه المجالات، يجب أن يحدث التدريب في خضم الحياة. فصفات شخصية القائد (المحبة والغفران والتواضع وغيرها) أمورٌ يمكن تعلُّمها جزئياً أثناء دراسة آيات الكتاب في إطار رسمي. ومع ذلك، فإن الشخصية الشبيهة بالمسيح ليست أمراً يُدرَس فقط، بل يجب أن نعيشه في علاقتنا مع الآخرين كما تشير آيات كثيرة في العهد الجديد. يجب تطوير هذه السّمات الشّخصيّة وتقييمها في خضم ضغوطات الحياة.

فعندما يُزعجنا الآخرون، هل نسامحهم أم نرد عليهم بالمثل؟ هل نحب الله والآخرين أكثر من أنفسنا؟ لا يمكن تطوير هذه السلوكيات بصورة أساسيّةٍ ضمن إطار رسمي، بل في سعي القائد في الحياة.

قام كلٌّ من يسوع وبولس بتدريب تلاميذهما في خضم الحياة. لقد علماهم بينما كانا يخدمان الآخرين. في خدمة يسوع وبولس الآخرين مع تلاميذهما في خضم الحياة كانا مثالاً يُحتذا به، إذ علَّما تلاميذهما باستخدام خدمة حياة حقيقية، حيث كان يمكن للتلاميذ أن يروا خدمتهما وينالوا دعم يسوع وبولس في خدمتهم.

كيفية تطوير يسوع للقادة

بدأ إعداد قادة الكنيسة أولاً مع يسوع، وما اعتبره أموراً هامةً وكيفية قيامه بتطوير التلاميذ الأوائل يجب أن يساهما في تشكيل أساليبنا. هناك العديد من النماذج الجيدة التي تُلخّص الممارسات القيادية لمخلصنا يسوع. لا يمكن التطرّق لجميعها، لكننا سنحاول تلخيص بعض الممارسات الرئيسية التي تظهر في هذه النماذج.

سنتطرق أدناه إلى كيفية تطوير يسوع للتلاميذ من خلال العلاقات والنمذجة والتشجيع والتأمل والدعم. لقد فعل هذا ضمن سياق المجتمع.[1]

نرى في الأصحاح الثالث من إنجيل مرقس أن تطوير يسوع لتلاميذه قد حدث من خلال علاقته بهم. اختار يسوع "الذين أرادهم" (مرقس ٣: ١٣). "فذهبوا إليه... ليكونوا معه". (مرقس ٣: ١٤) حدثت ممارسة يسوع لتطوير تلاميذه في سياق العلاقات ومن خلال العلاقات. وبالرغم من أهمّيّة العلاقات في كلّ الثّقافات، فإن الطبيعة العلاقاتية للثقافة العربية تشير إلى فعالية وضرورة تطوير الآخرين ضمن سياق العلاقات ومن خلالها.

يجمع يسوع بين سياق العلاقات، الذي يتسم بكونه طبيعياً وعضوياً جوهرياً بشكل أكثر، مع جانب أكثر رسمية من العلاقة مع تلاميذه. فقد شكل علاقاتهم بطريقة رسمية من خلال وصفهم بالرسل (لوقا ٦: ١٣). وأعطى لعلاقتهم

[1] أنا مدين للمقال "Mentoring in a Chinese Context" (التوجيه في سياقٍ صيني) وذلك لأن كثيراً من هذه المبادئ هي مبادئ يسوع بصفته مُوجّهاً (مرقس ٣: ١٣-١٥ ولوقا ٦: ١٢-١٣). إن تشابه السياق الصيني مع الشرق الأوسط أمر مفيد.

بُنيةً مُعيَّنة معيناً، بحيث لم تكن مجرد صداقة غير رسمية، بل كانت علاقةً ذات هدف. عمله ذلك يبثّ في علاقتهم شعور بالأهمية والدعوة.

كانت علاقة يسوع بتلاميذه علاقة طبيعية وعضويةً، شكّلت سياق دعوتهم وخدمتهم. ومع ذلك، تحتاج العلاقة إلى بنية معينة لمساعدة أولئك المُتدربين لتحقيق هدفهم الذي دُعوا إليه (مبادئ ١تيموثاوس ٤– فهم الدعوة والمهارات والشخصية والحق). هذا يوضّح أيضاً أهمية التوازن في التفاعلات العلاقاتية والرسمية بين المدرب والمتدرب.

وبينما قضى يسوع وقتاً في علاقة مع تلاميذه، قام بنمذجة ما علّمه. لقد علّمهم وأظهر لهم كيفية التعامل مع الاضطهاد ورعاية الفقراء والتعامل مع الخطاة والمال ومواجهة سلطة الحكومة وكيف يختلف التّديّن عن الروحانية وغيرها من الأمور). كان عمل يسوع مع تلاميذه مُغيّراً للحياة. وبقدر استطاعتنا، علينا أن نُطوّر الآخرين في سياق الحياة (الأسرة والعمل والتجارب والعلاقات وغيرها من الأمور).

كما تضمَّنت علاقة يسوع الرسمية بتلاميذه إعطاءهم مهام مُحدّدة للخدمة. فقد أرسلهم يسوع للخدمة والكرازة ورعاية المرضى وإخراج الشياطين وغيرها من الأمور (مرقس ٦: ١٢–١٣). يتطلّب النّموّ أن نأتي بثمر أو أنْ نطبّق ما نتعلمه، لذلك كانت هذه التحديات جزءاً من الطريقة التي طوّر بها يسوع تلاميذه. لقد تعلّموا من خلال التطبيق العملي وطرح الأسئلة (بعد العودة من الكرازة) ومن ارتكاب الأخطاء وتصحيحها (متى ١٦: ١٩–٢٤، متى ١٦: ٢١–٢٣، يوحنا ٢١: ١٥–١٩، وغيرها). فقد كانت مهام الخدمة بمثابة تجربة ملموسة، يتم من خلالها تقديم مبادئ هامة في التعليم والسّمات الشخصية (١تيموثاوس ٤).

حين علّم يسوع وصحّح وتأمل مع تلاميذه في مهام خدمتهم كان يدعمهم، وفعل ذلك على نحو خاص مع بطرس (يوحنا ٢١: ١٥–١٩)، ومع توما (يوحنا ٢٠: ٢٦–٢٩)، ومع يوحنا (مرقس ٩: ٣٨–٤١)، ومع مرثا ومريم (لوقا ١٠: ٣٨–٤٢). لقد تفاعل مع التلاميذ ضمن مجموعات صغيرة (بطرس ويعقوب ويوحنا في مواقف مختلفة: (مرقس ٩: ١–٨؛ مرقس ١٤: ٣٢–٣٣). وبعد إنكار بطرس له وسقوطه، دعمه يسوع من خلال إعادة تأكيده على دعوته

(يوحنا ٢١: ١٥-١٩). وحين لم يفهم بطرس بصورة صحيحة دعوة يسوع للصليب، انتهره يسوع. تعلّمت مريم ومرثا عن العبادة في وسط التحديات. كما تم التعامل مع شكّ توما وتثبيته على إيمانه من قِبَل يسوع. كل هذا الدعم تمّ في وقت التحديات. كان دعماً يعتمد على التّفكير والتّأمُّل.

وكان جزء من دعم يسوع لتلاميذه من خلال التّفكير والتّأمُّل معهم في الخدمة والحياة. فبعد عودة السبعين من مهمتهم في الخدمة (لوقا ١٠: ١٧-٢٠)، تأمل يسوع معهم حول الحدث وقدَّم تطبيقاً شخصيًا مهمّاً (الآية ٢٠). استخدم الأسئلة مع التلاميذ، مما جعلهم يفتكرون في حياتهم. استخدم يسوع الأسئلة للتعليم: "لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجرٍ لكم؟" (متى ٥: ٤٦). "وإن سلّمتم على إخوتكم فقط فأي فضلٍ تصنعون؟" (متى ٥: ٤٧). وبعد محاولة بطرس السير على الماء (متى ١٤: ٢٨-٣١) جعله يسوع يتأمل في سبب الغرق. "يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟" (العدد ٣١). لاحظ أن يسوع قد دعم بطرس بإنقاذه ومساعدته على التعلم من الحادثة.

كما رأينا، قام يسوع بالتعليم من خلال العلاقات، وقد وضع هذه العلاقات للقادة في قالب رسميّ. عاش الحياة والخدمة مع تلاميذه ولأجلهم. قدّم لهم تحديات الخدمة من واقع الحياة، وفي وسط التحديات دعم تلاميذه. علّمهم باستخدام أسئلة تأملية ثم أوصاهم أن يعيشوا ما علمهم إياه. أوصاهم بأن يخدموا ويقودوا بعد صعوده. وجّه يسوع عملية التطوير نحو قلوب تلاميذه وعقولهم وأفعالهم.

لقد عَلِم يسوع بأنه لن يبقى على الأرض لقيادة كنيسته، لهذا السبب ومن البداية دعا إلهنا القادة لرعاية كنيسته (يوحنا ٢١: ١٥-١٧؛ متى ٢٨: ١٨-٢٠). كما وضّح العهد الجديد أنه من مسؤولية الكنيسة إعداد القادة لرعايتها (أعمال الرسل ٢٠: ٢٨-٣٠). فالمعلم الراعي مدعو لإعداد القديسين لحقل الخدمة (أفسس ٤: ١١-١٢). أما نموذج بولس في رسالة تيموثاوس الثّانية ٢: ٢، فهو يساعدنا على إنجاح دعوة المسيح لتطوير القادة من خلال تعليم أولئك الذين سيكونون قادرين بدورهم على تعليم الآخرين. أما القادة الرعاة فعليهم أن يكونوا قادرين على التعليم (رسالة تيموثاوس الأولى ٣: ٢)، وعلى تفصيل "كلمة الحق بالاستقامة" (٢ تيموثاوس ٢: ١٥). فهذه هي الأداة الرئيسية لعملهم.

مُلخّص

إن المؤمنين الناضجين جزء من مجتمع المؤمنين الذين يرسلهم الله لمساعدتنا على النمو. فالقادة الرعاة مدعوون لخدمة الناس في وسط المجتمع. وهنا نقوم بتطبيق ما نعرفه. فنحن نكتشف في وسط الكنيسة ما إذا كنا حقاً نعيش كلمات مخلصنا. ومن خلال العلاقات والنماذج المميزة والممارسة والتفكير والدعم ننمو لنصير أكثر شبهاً بيسوع المسيح، وفي معرفتنا بكلمة الله وقدرتنا على خدمة الآخرين والتكلم لحياتهم. نحن نتعلم أن نَخدِم من خلال المشاركة في تحديات الخدمة الفعلية في وسط الكنيسة. ووجود موجّه كنموذج يحتذى به ولدعمنا والتفكير معنا وتعليمنا يجعل تحديات الخدمة هذه مثمرة لأجل نمونا كقادة رعاة. فنحن نعيش إيماننا الفعلي في وسط المجتمع الذي نعيش فيه.